

اليوم، نحتفل بالعيد الذي زها به وطننا بذكرى جلاء المستعمر الغاشم عن أراضينا لننعم بالحرية التي تم انتزاعها بفضل تضحيات جسيمة، وأرواح زُهقت لأبطال قدموا لوطنهم أغلى ما يملكون، فاسترخصوا دماهم الزكية في سبيل عزة ومنعة كل ذرة تراب من أرض هذه الأوطان، ملقنين القوى الاستعمارية دروساً في البسالة والإباء لنيل الاستقلال.



وقد شكل جلاء قوات الاحتلال الفرنسي نتيجة ذاصعة لنضال الشعب العربي السوري ضد أشكال الاحتلال والاستعمار المتعاقبين اللذين استمرتا مئات السنوات، بحيث أثمرت تضحياته الكبيرة وصبره العظيم، فوصل إلى نيل حريته التي ضحى من أجلها بكل غالٍ ونفيس، فاستحق بذلك أن يعيش حريته وشموخه بين أمم الأرض الحرة.

إن جلاء القوات الأجنبية عن أرض سورية في السابح عشر من نيسان عام 1946، أصبح عيد الجلاء، وهو في الوقت نفسه العيد الوطني لسورية، ذكرى تحرير الوطن من سلطة الاحتلال الغاشمة.

هذا اليوم الذي يرمز إلى تضحيات الشعب السوري وإلى نتائج أبطال الاستقلال من يوسف العظمة وسلطان باشا الأطرش وإبراهيم هنانو وصالح العلي ومحمد الأشمم وكل ثوار سورية الذين أوصلوا الوطن إلى الاستقلال.

واليوم.. ها هو الجلاء يتجدد مع كل انتصار يحققه الجيش العربي السوري على شتى أنواع الإرهاب، ومع كل شهيد يرتقي إلى السماء دفاعاً عن تراب الوطن، وتستمر التضحيات ويستمر العطاء لتبقى سورية منيعة حصينة على كل الأعداء، ولتزهو دروب الخير والسلام ويعود الأمن والاستقرار إلى ربوع وطننا الجميل.

وقد لعب الفن السوري دوراً بارزاً في مواجهة الاستعمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى لوطأة جنوده أرض الوطن، فقاوم بالكلمة والمصورة حتى انتزاع الاستقلال، ثم وثق بطولات الثوار أمام الاحتلال في مسلسلات درامية.

كثير من المسلسلات رصدت جلاء المحتل عن سورية، نوردها لكم عبر السطور القادمة:

يا بسمة الحزن

مسلسل «دمشق يا بسمة الحزن» عن رواية الأديبة السورية الراحلة ألفت الإدلبي، جسد فضاءً زمنياً عايشته الكاتبة في العشرينيات والمثلاثينيات من قرن مضى، بكل تفاصيله وأحداثه في الثورة السورية الكبرى والإضرابات والتظاهرات والأزمة الاقتصادية وبشاشة الاحتلال الفرنسي وقصفه دمشق إضافة إلى مقاومة الشعب بكل فئاته وربط الحياة الاجتماعية بالمواقف النضالية. العمل أنتج عام 1992 وكان السيناريو لرفيق المصبان وإخراج لطفي لطفى وتمثيل رفيق سبيعي ونجاح حفيظ ونبيلة المنابلسي ورنا جمول وحاتم علي وجلال شموط وسيف سبيعي.

انتزاع الاستقلال

لعل أشهر الأعمال التي رصدت تلك المرحلة المفصلية من تاريخ سورية مسلسل «هجرة القلوب إلى القلوب» (1991) الذي كتبه عبد النبي حجازي وأخرجه هيثم حقي، حيث يتكلم عن بلدة صغيرة اسمها «الركنية» ويوثق من خلال هذه القرية المواقع السوري في الفترة الزمنية مع بداية الثلاثينيات من القرن الماضي ويمر على الصراع بين المجتمعين البدوي والحضري ومن ثم يتكلم عن انعكاسات الحرب العالمية الثانية على السياسية السورية في ذلك الحين وقيام الثورة السورية الكبرى وانخراط جميع شرائح المجتمع بها ومن ثم خروج المستعمر الفرنسي من البلاد وانتزاع الاستقلال منه ويشير إلى دور الأشخاص المتلونين من الشعب السوري الذين ساهموا باستمرار في نشر الأفكار الاستعمارية رغم خروج المستعمر، ويظهر من جهة أخرى قوة الشعب عبر تماسكه والتحامه لمجابهة الاستبداد.

وأدى أدوار البطولة: خالد تاجا، وبسام كوسا، ويوسف حنا، وسليم كلاس، وحسن دكاك، وأسعد فضا، وعباس النوري، وسمر سامي، وعدنان بركات، ومنى واصف، وهاني الروماني، وأيمن زيدان، وعارف المطويل، ونجاح حفيظ.

بطولة شعب

كما أن مسلسل «أيام الغضب» (1996) الذي أخرجه باسل الخطيب قد تناول مرحلة بداية الاستعمار، ويذهب إلى قرية سورية ليلقي

المضوء على بطولة الشعب في مقاومة المستعمر الفرنسي.

ويدور العمل حول (ضربان)، الرجل الذي أراد أن يعيش حراً، فقرر من بين همساته وصرخاته أن يستقطب أهل بلده ويحيي بداخلهم أسمة القيم الوطنية والإنسانية لمواجهة الواقع الجديد الذي يفرضه الاحتلال الفرنسي عليهم، ونشهد رحلته بما زخرت به من عقبات وعوائق.

ويؤدى أدوار البطولة فيه: خالد تاجا، وأيمن زيدان، وفرح بسيسو، وعابد فهد، وأنطوانيت نجيب، وأحمد رافع، وغسان مسعود، وجيهان عبد العظيم، وشكران مرتجى، ووائل رمضان، وتوفيق اسكندر، وعبد الفتاح المزين، وكارمن لبس.

أرضية تسجيلية

وأيضاً «حمائم المقيشاني» (الأول عام 1991) الذي كتبه دياب عيد وأخرجه هاني الروماني في خمسة أجزاء، وهو دراما اجتماعية سياسية تجري أحداثها على أرضية تسجيلية لواقع من تاريخ سورية منذ قصف دمشق والبرلمان قبل إعلان الجلاء بأشهر حتى تسلم الكتلة الوطنية الحكم بعد سنوات.

يبدأ العمل قبيل الجلاء، وحفل بشيء من التشويق من خلال محاولة أبناء أحد المتعاونين مع الاحتلال تنظيف صفحة أبيهم حيث يلاحقون ابن الشهيد ويحاولون إصاق المتهم المشائنة به لينسى الناس فعلة أبيهم، لكن الشخصية الوطنية تنتصر في النهاية ويتحقق الاستقلال.

كما واصل العمل الحديث عن تاريخ سورية في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، حيث تتضمن الفترة سنتين تقريباً من عهد الوحدة بين سورية ومصر، وهما السنن الأخرتان من عمر الوحدة ومن ثم الانفصال الذي حدث في سورية وبعده بسنة ونصف السنة قيام ثورة المائتين من آذار عام 1963.

ولعب أدوار البطولة فيه: سلمى المصري، وسلوم حداد، وظلحت حمدي، وصباح جزائري، وعابد فهد، وأمل عرفة، ونبيلة النابلسي، وعارف الطويل، ولينا حوارنة، وسعد مينه، وليلى جبر، وزهير عبد الكريم، ونبيلة النابلسي، وديمة المجدي، ومحمد الحريري، وسوسن ميخائيل، وفرح بسيسو، وصباح بركات.

تعاون شعبي

بدوره فإن مسلسل (الرجال والضباب) الذي كتبه رضوان عقيلي وأخرجه جميل ولابية يحكي أحداث الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي، ويظهر تعاون مختلف فئات الشعب في مواجهة الاحتلال وتفاعلهم مع النضال. العمل بطولة: عدنان بركات، وهاني الروماني، وسلوى سعيد، وتيسير السعدي، ومها المصري، وصالح قصاب، وأديب شحادة، وبسام لطفي، وعصام عبيج، وأحمد أيوب، ونجاح حفيظ، وأدهم الملا، ومحمد الحريري، وصبحي الرفاعي، وضحي الدبس، وبشار إسماعيل، ومحمد طرقي، وعدنان عجلوني.

روايتان لـ «حنا مينه»

لرروائي الكبير حنا مينه روايتان تحولتا إلى عمليين دراميين، أولهما مسلسل «نهاية رجل شجاع» (1994) للمخرج نجدة أنزور وسيناريو وحوار حسن م. يوسف، ويتحدث عن «مفيد الوحش» ابن القرية الريفي البسيط والمقبضي، الذي شحذته الحياة البسيطة والمقاسية وجعلت منه شخصاً قاسي الملامح حاد النظرة، تتطور شخصيته باتجاه تصاعدي ضمن المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي وفي سجون الاحتلال لتجعل منه وطنياً يحلم بالحرية والحياة، فتتعاظم قوة الوحش بداخله ويتعاظم معها إيمانه بالمقاومة كسبيل وحيد للتحرر، عندها يتحول الفتى إلى أسطورة ليتغنى الجميع بقوته وشجاعته. ومثل فيه: أيمن زيدان، وسوزان نجم الدين، وأندرية سكاف، وعبد الرحمن آل رشي، وسعد مينه، وعارف الطويل، وأيمن رضا، وهاني الروماني، وخالد تاجا، ومنى واصف، ونجاح حفيظ، وهدي شعراوي، وعصام عبيج.

وفي رواية حنا مينه الثانية «المصابيح المزرقة» (2012) مسلسل أخرجه فهد ميري، وكتب السيناريو محمود عبد الكريم، وتدور أحداثه في الفترة من 1939 إلى 1945 وهي فترة الكفاح السوري ضد الاحتلال الفرنسي من خلال استعراض الأحداث الجارية في تلك الفترة وإلقاء المضوء على عدة شخصيات وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية.

ومثل فيه: سلاف فواخرجي، وأسعد فضا، وغسان مسعود، وسحر فوزي، وزهير رمضان، وأندرية سكاف، وتولاي هارون، وجرجس جبارة، وضحي الدبس، ومحمد الأحمد، وسعيد الآغا.

إخوة التراب

يتجه الجزء الثاني من مسلسل «إخوة التراب» إلى تحديد المواقف والشخصيات التاريخية التي ناضلت ضد الاحتلال الفرنسي، على حين كان الجزء الأول عن نضال الشعب السوري ضد الاحتلال التركي.

العمل الذي يقدم كل حقائق الحقبة التاريخية التي يتصدى لها، تأليف حسن م يوسف وإخراج نجدة أنزور وبطولة أيمن زيدان

وسوزان نجم الدين وزهير عبد الكريم وليلي جبر وبسام لطفي وباسم ياخور وآخرين.

البيئة المشامية

ولم تخل أعمال البيئة المشامية من مشاهد الصمود بوجه العدوان، ومنها «باب الحارة» (الأول عام 2006) للمخرج بسام الملا، ومثل بأجزائه السبعة عدة جوانب اجتماعية وسياسية مهمة من خلال التكافل الاجتماعي، وصلة الرحم وانتصار الخير على الشر، وقوة ومثانة الأسرة، وتظهر فيه مظاهر الالتحام والمحافظة على العرض والشرف، ويعكس واقع الحارة السورية وصمودها ومقاومتها للاحتلال الفرنسي، وهو بطولية: عبد الرحمن آل رشي، وعباس النوري، وصباح جزائري، وميلاد يوسف، وأميرة ملص، ومحمد قنوع، ووائل شرف، ووفاء موصللي.

وأيضاً «طاحون الشر» بجزأيه (الأول عام 2012) من تأليف مروان قاووق وإخراج ناجي طعمي، ويرصد العمل فترة الاحتلال الفرنسي في سورية، ومعظم حكاياته شعبية اجتماعية لكنه يتضمن خطأً سياسياً هو نضال الثوار ضد الاحتلال في تلك الفترة، وهو من بطولية: منى واصف، ورفيق سبيعي، وبسام كوسا، وسليم كلاس، ورناء شميس، وليليا الأطرش، ورفيق الزعيم، وأميرة ملص، وسحر فوزي، ومحمد خير الجراح، ولىنا حوارنة، ولمى إبراهيم، ومرح جبر.

كما أن مسلسل «الزعيم» (2011) من تأليف ورفيق الزعيم وإخراج مؤمن الملا، وتناول حقبة زمنية واسعة مرت بها مدينة دمشق من عام 1918، قبل احتلالها من الفرنسيين حتى عام 1948، ومثل فيه: خالد تاجا، ومنى واصف، وسليم صبري، وثناء دبسي، وأمل عرفة، وعبد المنعم عمالي.

وبالعودة إلى الوراء، نجد أن مسلسل «أبو كامل» (1991) من تأليف فؤاد شربجي وإخراج علاء الدين كوكش قد تناول فترة الاستعمار الفرنسي على سورية، وعكس البيئة المشامية التقليدية من خلال قصة رئيسية تدور حول «أبو كامل» وحكايات جانبية عن الوطنيين، وحلم الثورة من جهة وأطماع البعض بالمناصب من جهة ثانية، لكن الجزء الثاني تحول في طريقة تعاطيه مع فترة الاحتلال بالتركيز حول آثار الاحتلال على الحياة الاجتماعية.

ومثل فيه: أسعد فضة، ووفاء موصللي، وعباس النوري، ومرح جبر، ويوسف حنا، وصباح عبید، وعبد الفتاح مزين، ومملك سكر، وحسن دكالك، وسلوم حداد، وعدنان بركات، ومنى واصف، ونزار شرابي، وتيسير إدريس.

الوطن

عين الجمهورية